تم تحميل وعرض المادة من

موقع كتبي

المدرسية اونلاين

www.ktbby.com

موقع كتبي يعرض لكم الكتب الدراسية الطبعة الجديدة
وحلولها, توزيع مناهج, تحضير, أوراق عمل, عروض
بوربوينت, نماذج إختبارات بشكل مباشرPDF

جميع الحقوق محفوظة للقائمين على العمل

الوحدة الأولى

١ تاريخ بعض الرسل والأنبياء عليهم السلام

- الرسل والأنبياء عليهم السلام.
- آدم عليه السلام.
- نوح عليه السلام.
- إبراهيم عليه السلام.
- لوط عليه السلام.
- موسى عليه السلام.
- عيسى عليه السلام.

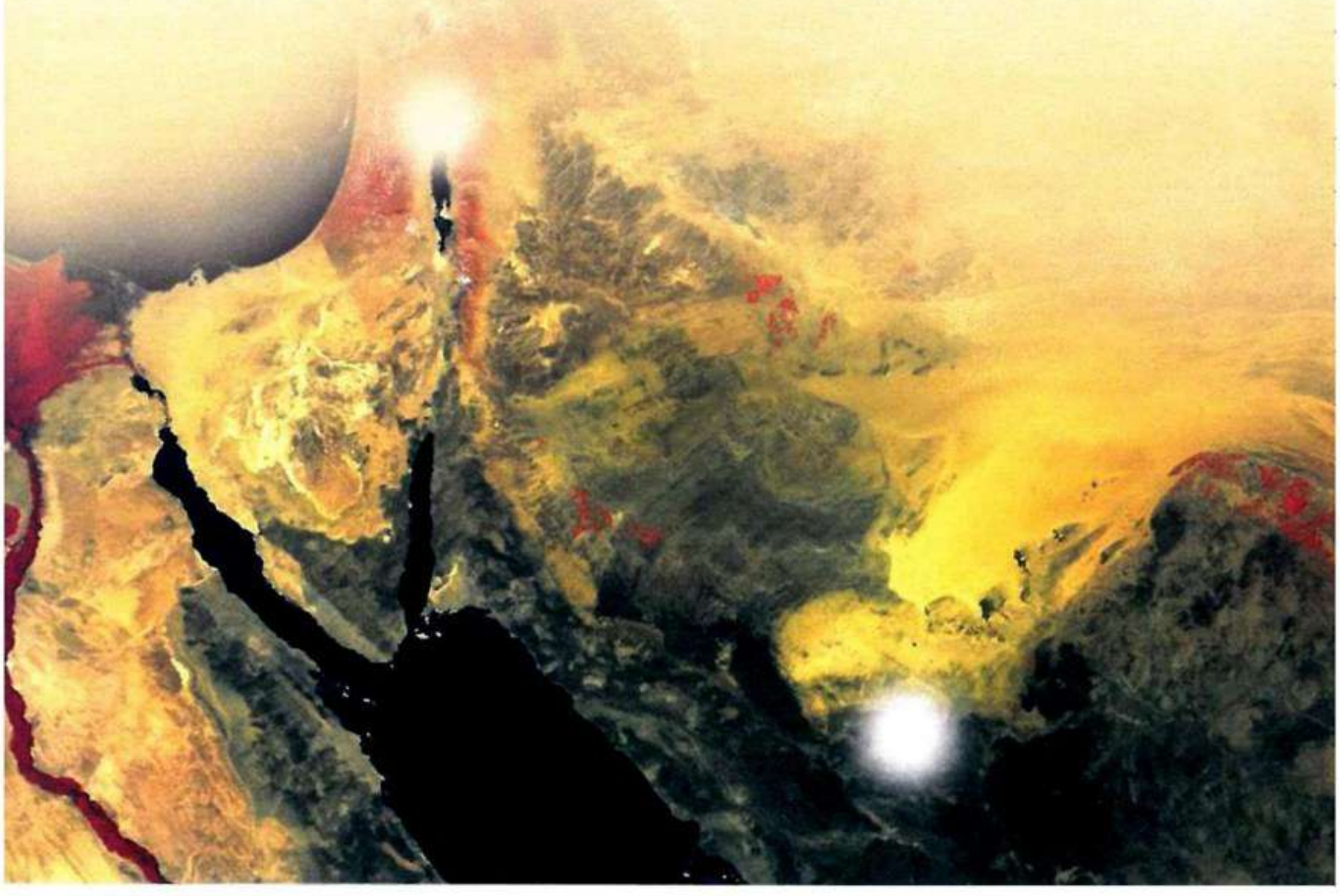

١ الدرس الأول: الرسل والأنبياء عليهم السلام

في هذا الدرس

- حاجة البشرية للرسل والرسالات.
- عصمة الرسل.
- معجزات الرسل.
- مهام الرسل.
- مزايا دعوة الرسل.

حاجة البشرية للرسل والرسالات :

أراد الله بآدم وذريته أن يستخلفهم في الأرض فيسكنوها ويحيوا فيها ويموتوا حتى يبلغ الكتاب أجله، فانتشر بنو آدم في أرجاء الأرض واطمأنوا بها، وكلما تطاول بهم الزمن شيئاً فشيئاً ابتعدوا عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، فظهر فيهم الظلم والبغي حتى تنازعوا واقتتلوا، ثم شاع فيهم الجهل والضلال فلم يتبينوا الغاية من خلقهم ولم يدركوا حقيقة الخالق عز وجل ولم يستيقنوا بما وراء الموت من حياة أخرى .

وما كان الله جل جلاله ليدع الناس على ما هم فيه من الضلالة، فقد تكفل سبحانه بتبيين سبل الهداية لهم عندما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض فقال تعالى :﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (طه: ١٢٣). ولذا بعث الله في كل أمة رسولاً منهم بالبشارة والنذارة، لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة.

عصمة الرسل :

الرسل والأنبياء عبادٌ اصطفاهم الله واختصهم بعنايته، وتولى تأديبهم وصانهم عن النقائص والعيوب حتى تتحقق فيهم الأسوة الحسنة، ويكتمل في شخصيتهم المثل الأعلى للبشرية فيتمكنون من قيادة الناس إلى ما يصلحهم في دنياهم وآخرتهم. ولذا يستحيل أن يرتكب أحدهم مخالفة عقائدية أو أن يقع في خطأ أخلاقي، إذ لو جاز عليهم مثل ذلك لتطرق الشك إلى رسالتهم ولتضاءل شأنهم عند الناس.

على أن عصمة الرسل لا تتنافى مع بشريتهم، فهم يمشون في الأسواق ويأكلون من كسب أيديهم، ويصيبهم الألم والسقم. كغيرهم من الناس. ويذوقون الموت ، كما أنهم يجتهدون في البحث عن الحلول للقضايا التي تعرض لهم. ما لم ينزل فيها وحي. ويشاورون فيها ذوي الأحلام والنهى من أصحابهم.

أما فيما يتعلق بأمور التبليغ عن الله؛ فإنهم معصومون لا يجوز عليهم فيها الخطأ أو النسيان. فالعصمة في هذا الجانب هي كالمعجزة؛ صفةٌ في الرسل وشرطٌ من شروط الرسالة.

مفاهيم ومصطلحات

الاستخلاف: أي قومًا يَخلف بعضهم بعضًا، قرنا بعد قرن وجيلًا بعد جيل.

الفطرة: أصل الخلقة التي خلق الله الناس عليها.

العصمة: المنعة وسميت عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية.

فكر

(العصمة كالمعجزة صفةٌ في الرسل وشرطٌ من شروط الرسالة) **ماذا تعني هذه العبارة؟**

العصمة كالمعجزة ضرورة من ضروريات صدق الرسالة ومن مقتضيات حكمة من أرسل الرسل عليهم السلام.

معجزات الرسل :

أيّد الله دعوة الرسل والأنبياء بالمعجزات الحسية لتدل على صدق رسالتهم ولتقطع حجج الجاحدين المنكرين لدعوتهم ، فأجرى على أيديهم أموراً خارقة للعادة ، مخالفة للسنن الكونية ، يعجز البشر عن فعل مثلها ولا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثلها عن طريق ممارسة العلوم أو عن طريق السحر والشعوذة ، ولذلك سميت (معجزات).

مميزات معجزات الرسل: لقد جاءت معجزات الرسل والأنبياء بما يناسب أوضاع المجتمع الذي كانوا فيه وأحوال العصر الذي عاشوا فيه ، فلم تكن جميع المعجزات من نوع واحد ، وإنما اختلفت صورها وتنوع عملها وفقاً لاختلاف الزمان وتنوع المكان.

أمثلة لمعجزات الرسل: قد يأتي الرسل بمعجزاتهم في أمور نبغ فيها أقوامهم وتفوّقوا في معرفتها ، فقوم فرعون برعوا في ممارسة السحر ولذا جاءهم موسى عليه السلام بمعجزة العصا التي أصبحت حية ابتلعت عصي السحرة وحبالهم.

وأما عيسى عليه السلام فقد جاء قومه بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه وهو ممارسة الطب، فأبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله. قال تعالى على لسان عيسى مخاطباً قومه: ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران : ٤٩) .

وأما العرب فقد بلغوا درجة عالية من قوة الفصاحة وروعة البلاغة وحسن البيان ، فجاءهم محمدٌ ﷺ .وهو رجلٌ أمي. بالقرآن الكريم: كتابٌ معجز في فصاحته وبلاغته وبيانه ، وفي علومه وتشريعاته ، وقد تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله أو حتى بآية ، وأنّى لهم ذلك .

مهام الرسل :

صدع الرسل بدعوة عظيمة هدفها تصحيح معتقدات الناس وأفكارهم حول الخالق سبحانه وتعالى ، وحول الكون والحياة والممات ، وحول البعث والنشور. إنها مهمةٌ جسيمة تقوم على أساس الإقناع والاقتناع ، وتستلزم المحاورة والمجادلة بالتي هي أحسن ، وتتطلب رفقًا ولينًا وصبرًا جميلاً .

معلومات إثرائية

لقد كانت المعجزة تحدث في أمور عرفها الناس حتى لا يقال إن رسولاً تحدى قومه بأمر لا يعرفونه ، فحين أجمع قوم إبراهيم الخليل عليه السلام على إلقائه في النار لم يهرب إبراهيم ولم ينزل الله أمطاراً لإطفاء النار، وإنما ظهرت المعجزة في انتفاء خاصية الاحتراق في النار فتحول عملها إلى النقيض، قال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء : ٦٩).

لقد كانت معجزات الرسل حسية تقع مرة واحدة ، فالنار لم تحرق إبراهيم الخليل عليه السلام لكنها عادت إلى خاصيتها، وعصا موسى عليه السلام تحولت إلى ثعبان ثم عادت إلى سيرتها الأولى، كما أن البحر انشق لموسى لكنه عاد إلى طبيعته، فتلك المعجزات من أفعال الله تعالى ومن الممكن أن تنتهي بعد أن يفعلها الله. لكن معجزة نبينا محمد ﷺ معجزةٌ عقلية باقية خالدة ، لأنها صفة من صفات الله فهي كلامه.

لقد كانت من مهمة الرسل:

١- الدعوة إلى الإيمان بالله ووحدانيته:

فهو المتفرد في هذا الكون المدبّر لأمره ، وهو خالق الناس ورازقهم، وهو المستحق للعبادة . ولذا دعا الرسل إلى توثيق الصلة بين العبد وربه، وتحرير العقل البشري من الوثنية المتمثلة في عبادة الأصنام ، أو عبادة الصالحين من الأحياء والأموات . قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٢٥).

٢- الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر:

والتأكيد على أن هناك حياة أخرى بعد الموت ، يحاسب فيها الإنسان على ما كسبه من الحسنات وما اكتسبه من السيئات ، وهذا الاعتقاد من شأنه إحياء الضمير الإنساني فيدفع المرء إلى الخير ويمنعه عن الشر . قال تعالى :

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٦٤).

٣- التعليم:

فقد قاموا بتعليم الناس أمور دينهم وإرشادهم إلى الفضائل وتحديد الأعمال الحسنة والسيئة وبيان نفعها وضررها وثوابها وعقابها .

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٤٤).

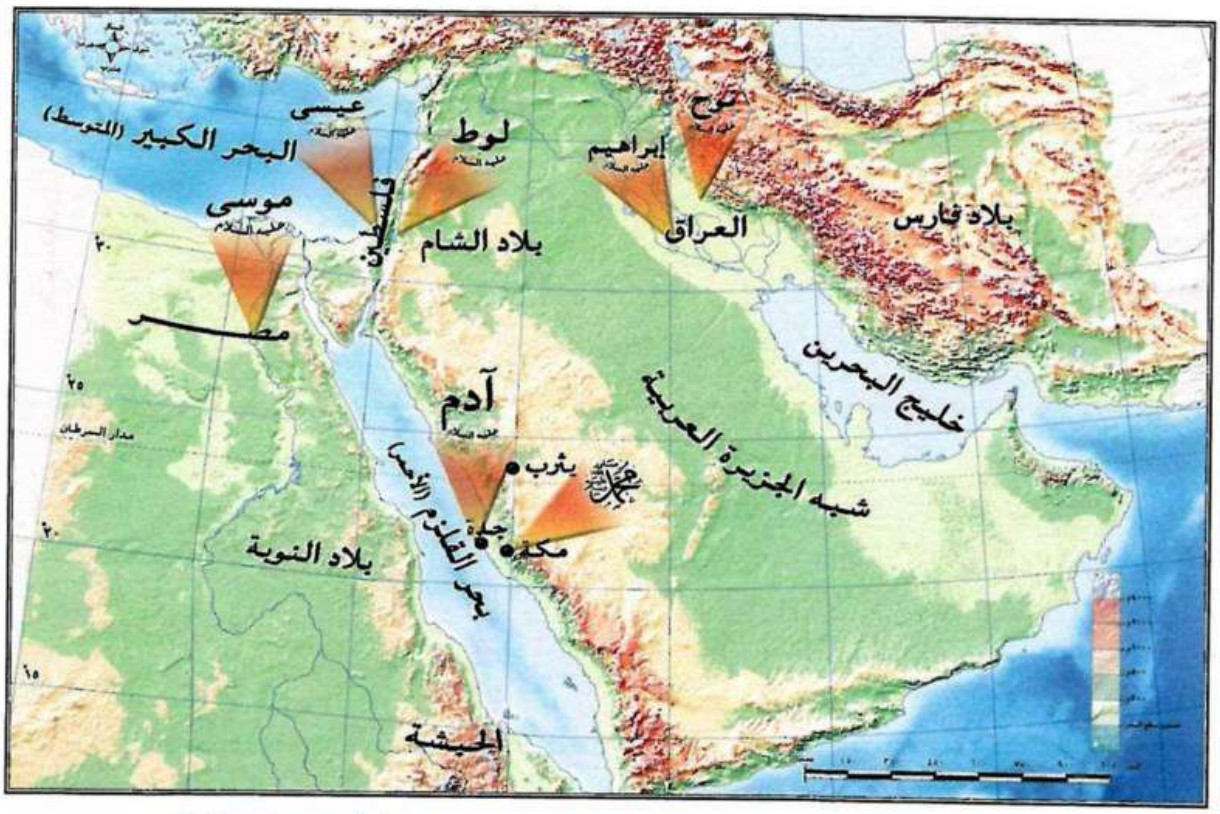

شكل (١) مواقع بعثة بعض الأنبياء

■ مزايا دعوة الرسل :

امتازت دعوة الرسل والأنبياء عليهم السلام بعدد من السمات الخاصة بها، فهي :

١- **دعوة ربانية:** جاءت بوحي وتكليف من الله تعالى ، فهي ليست مبادرة ذاتية قام بها كل واحد منهم لإصلاح مجتمعاتهم وإنقاذهـا من الفساد والفوضى . فذلك شأن الزعماء والحكماء والمصلحين الذين هم نتاج بيئتهم وثقافتهم . وقد بيّن القرآن الكريم ذلك على لسان الرسول ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس : ١٦).

٢- **خالصة لله تعالى:** فلـم يسع الرسل والأنبياء من وراء دعوتهم إلى الدنيـا والمنصب أو المال والجاه أو طلب المديح والثنـاء ؛ وإنمـا كان إعلانهـم بكل وضوح أنهم يطلبـون الأجر والثواب من الله جل وعلا الـذي خلقهم ومنّ عليهم حيث اصطفاهم للرسالة والنبوة. قال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (هود: ٥١).

٣- **واضحة الهدف والغاية وبعيدة عن التكلف:** فلم يسلـك الرسل طرقاً ملتوية في التبليـغ، وإنما كانت طريقهم محجةٌ بيضاء لا غموض فيها ولا لبس . قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف : ١٠٨). ثـم إن الرسـل والأنبيـاء كانـوا يخاطبـون الناس على قدر عقولهـم ، فلا يتشدقون بخطاباتهم ولا يتكلفون، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (ص:٨٦).

٤- **حاضّة على الزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة:** فقد بدأوا بأنفسهم فعاشوا في شظف من العيش ، وأقبلوا علـى الزهـد وإيثار الحيـاة الآخرة الباقية مع أنهم كانوا قادريـن على الاستمتاع بالملذات الدنيويـة . وقد أمر الله نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ألا يلتفت إلى زخرف الحياة الدنيا، فقال تعالى :﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (طه : ١٣١).

٢ الدرس الثاني

آدم عليه السلام

■ خلق آدم عليه السلام وتكوين الجنس البشري :

في هذا الدرس

- خلق آدم عليه السلام .
- إغواء إبليس لآدم وزوجه.
- توبة الله علي آدم.

أخبر الله سبحانه وتعالى في مواضع عدة من الكتاب العزيز عن مراحل خلق آدم عليه السلام ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٣٠).

فقد أطلع الله جل وعلا ملائكته على مشيئته في خلق الإنسان، وأنه سيتخذ منه خليفة في الأرض وسيمكن له ولذريته فيها، وسبب إخبار الله لملائكته بخلق آدم عليه السلام هو تبيين مهمتهم التي سيقومون بها بالنسبة لآدم وذريته ، إذ جعل سبحانه للملائكة مهام كثيرة مع الإنسان في الأرض.

واتخاذ الإنسان خليفة لله في الأرض إنما هو تكريم إلهي لهذا المخلوق البشري ، حيث جعله الله مهيمناً على الأرض، وسخّر له كل ما يمكّنه من تحقيق الخلافة فيها . لكن الملائكة تخوفوا من أن هذا الإنسان قد يظهر في الأرض الفساد ، فينشر فيها المعاصي ويسفك الدماء ، فأجابهم الله بالسرّ المغيّب: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، ثم شاء سبحانه أن يبين للملائكة أن هذا الكائن الجديد هو أكثر منهم علماً وأوسع معرفة ، فعلم آدم عليه السلام أسماء الأشياء وحقائقها وخواصها ليتمكن بها في الأرض وينتفع بها ، وطلب من الملائكة أن يخبروه بتلك الأسماء، فعجزوا عن الإجابة ، فدعا الله آدم عليه السلام ليكون معلماً للملائكة فيخبرهم بما سألهم الله تعالى.

معلومات إثرائية

بعض الملائكة الذين لهم مهام مع الإنسان في الأرض:

(١) الكرام الكاتبون الذين يكتبون كل ما يفعله آدم وذريته في الأرض من حسنات وسيئات.

(٢) الحفظة الذين يحفظون الرسل من كل سوء.

(٣) الموكلون بنفخ الأرواح في الأرحام.

(٤) الموكلون بقبض الأرواح.

(٥) الموكلون بالأرزاق.

لم يخلق الله سبحانه آدم عليه السلام على سنة الخلق التدريجي : نطفةً فمضغة فعلقة فولیداً فطفلاً يتدرج مع المعرفة بتدرج الزمن، وإنما خلقه بيده من طين أسود ثم سوّاه على هيئة إنسان ثم نفخ فيه من روحه،قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (الحجر: ٢٨ ، ٢٩). وعند ذاك أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام ، سجود تكريم لا سجود عبادة ، سجودٌ لبديع صنع الله سبحانه وتعالى ، وسجودٌ لهذا القبس من روح الله في آدم عليه السلام ، وتلك صورة أخرى من صور التكريم الإلهي للإنسان ، فامتثل الملائكة طائعين إلا إبليس الذي أبى واستكبر بحجة أنه خيرٌ من آدم عليه السلام، ولذا كانت عاقبة هذا الكبر أن أوجب الله له العقاب الشديد،

فطرده من الجنة وحلّت عليه اللعنة إلى يوم القيامة ، قال تعالى:

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (ص: ٧٣ - ٧٨)، وقد طلب إبليس من ربه أن يمهله حياً إلى يوم القيامة، فأجاب الله طلبه لحكمة أرادها سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ (ص: ٧٩ - ٨١).

■ إغواء إبليس لآدم وزوجه :

من حكمة الله في الخلق أن جعل من كل شيء زوجين ليبقى سبحانه وتعالى واحداً فرداً لا نظير له ولا شريك. قال جل شأنه: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٩). ولذا خلق الله حواء لتكون زوجاً لآدم عليه السلام يسكن إليها ويأنس بها حينما كانا في الجنة، ويهبهما الله ذريةً تعمر الأرض وتعيش فيها.

كان آدم وحواء يستمتعان بكل شيء في الجنة ويأكلان ما يشتهيان من ثمرها، ولم ينههما الله إلا عن شجرة واحدة أمرهما ألا يقرباها وألا يذوقا من ثمرها ، والتأكيد الإلهي لآدم وحواء ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ (البقرة: ٣٥). يدل على أنه يجب على الإنسان أن يبتعد عن محارم الله وألا يقترب منها لئلا يقع فيها.

ثم بيّن الله لآدم عليه السلام أن الشيطان هو عدوه ، فقال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ (طه: ١١٧) وهذا من تمام عدل الله ، لكن إبليس وسوس لآدم وحواء وأوهمهما أن الله منعهما عن الأكل من تلك الشجرة حتى لا يكونا ملكين ويُخلَّدا في الجنة، وما زال بهما يغريهما بالأكل من الشجرة حتى وقعا في حبائل فتنته ونسيا أن إبليس هو عدوهما ، فأكلا من الشجرة فلما ذاقا طعمها انكشفت لهما عوراتهما وكانا قبل ذلك لا يرى كل منهما عورته ولا عورة الآخر، فأخذا يجمعان بعض أوراق الشجر ليغطيا به ما انكشف من فرط الحياء ، وناداهما ربهما مؤنباً إياهما على مخالفة أمره وارتكاب ما نهى عنه، فاشتد الندم بآدم وحواء وتضرعا إلى الله يلتمسان عفوه ومغفرته، قال تعالى في ذلك : ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٢٢، ٢٣).

معلومات إثرائية

يؤخذ من الآية الكريمة في سورة ص أن إبليس لم يكن من الملائكة وإنما كان من الجن، (وردت عن ذلك آية أخرى في سورة الكهف) ، ومع هذا فقد شمله الأمر الإلهي بالسجود إلا أنه لم يسجد وخالف الأمر، وفي ذلك ما يدل على أن عبادة إبليس لم تكن خالصة لوجه الله وإنما كانت رياءً ومباهاة.

لقد كان إبليس يعلم أنه لا إله إلا الله . لكن علمه هذا لم يدخله في دائرة المؤمنين . فالإيمان ليس علم ومعرفة فحسب ، وإنما هو أيضاً خشوعٌ واستجابة.

تعلم ذاتي

افتح المصحف على سورة البقرة واقرأ الآيات من ٣١ - ٣٣

راجع كتاب تاريخ البداية والنهاية لابن كثير المجلد الأول ولخص الأحاديث الواردة في خلق آدم عليه السلام.

- ذكر السدي عن أبي مالك، وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: فبعث الله عز وجل جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني. فرجع ولم يأخذ. وقال: رب إنها عاذت بك فأعذتها. فبعث ميكائيل، فعاذت منه، فأعاذها، فرجع، فقال كما قال جبريل. فبعث ملك الموت، فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلطه، ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة بيضاء، وحمراء، وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به فبل التراب حتى عاد طيناً لازباً، واللازب: هو الذي يلزق بعضه ببعض، ثم قال للملائكة: "إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72)" [سورة ص]. فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه فخلقه بشراً فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه، وكان أشدهم منه فزعاً إبليس، فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد، كما يصوت الفخار يكون له صلصلة، فلذلك حين يقول: "مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ" [الرحمن: 14]. ويقول: لأمر ما خلقت، ودخل من فيه وخرج من دبره. وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد، وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكنه. فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله. فقال: الحمد لله. فقال له الله: رحمك ربك. فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلان إلى ثمار الجنة، وذلك حين يقول الله تعالى: "خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ" [الأنبياء: 37]. "فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ" [الحجر: 30، 31].

تعلم ذاتي

- وقال الحافظ أبو يعلى، حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا عمرو بن محمد، عن إسماعيل بن رافع، عن المقبري، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طيناً، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه الله وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار قال: فكان إبليس يمر به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم. ثم نفخ الله فيه من روحه فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس، فلقاه الله رحمة ربه فقال الله: يرحمك ربك. ثم قال الله: يا آدم اذهب إلى هؤلاء النفر فقل لهم، فانظر ماذا يقولون، فجاء فسلم عليهم، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. فقال: يا آدم هذا تحيتك وتحية ذريتك. قال: يا رب وما ذريتي. قال: اختر يدي يا آدم. قال: اختار يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين. وبسط كفه فإذا من هو كائن من ذريته في كف الرحمن، فإذا رجال منهم أفواههم النور فإذا رجل يعجب آدم نوره قال: يا رب من هذا؟. قال: ابنك داود. قال: يا رب فكم جعلت له من العمر. قال: جعلت له ستين. قال: يا رب فأتم له من عمري حتى يكون له من العمر مائة سنة. ففعل الله ذلك، وأشهد على ذلك فلما نفد عمر آدم، بعث الله ملك الموت، فقال آدم: أولم يبق من عمري أربعون سنة. قال له الملك: أولم تعطها ابنك داود. فجحد ذلك فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته. وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار، والترمذي، والنسائي في اليوم والليلة من حديث صفوان بن عيسى، عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.
- وقال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا أبو نعيم، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك.

تعلم ذاتي

فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: أي رب من هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود. قال: رب وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة. قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة. فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت، قال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود! قال: فجحد فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته. ثم قال الترمذي: حسن صحيح، وقد روي من غير وجه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين. وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. وروى ابن أبي حاتم من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره، وفيه: ثم عرضهم على آدم، فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، وإذا فيهم الأجذم، والأبرص، والأعمى، وأنواع الأسقام، فقال آدم: يا رب لم فعلت هذا بذريتي. قال: كي تشكر نعمتي. ثم ذكر قصة داود، وستأتي من رواية ابن عباس أيضاً.

- وقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا أبو الربيع، عن يونس بن ميسرة، عن أبي إدريس، عن أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال: خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الدر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي. وقال للذي في كتفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي.
- وقد قال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه "ورحمة الله" فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن.

تعلم ذاتي

وهكذا رواه البخاري في كتاب الاستئذان عن يحيى بن جعفر، ومسلم، عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به.

- وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ: إن أول من جحد آدم إن أول من جحد آدم، إن أول من جحد آدم، إن الله لما خلق آدم ومسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارئ إلى يوم القيامة، فجعل يعرض ذريته عليه، فرأى فيهم رجلا يزهر، قال: أي رب من هذا ؟ قال: هذا ابنك داود. قال: أي رب كم عمره؟ قال ستون عاماً. قال: أي رب زد في عمره. قال: لا إلا أن أزيده من عمرك. وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاماً، فكتب الله عليه بذلك كتاباً، وأشهد عليه الملائكة، فلما احتضر آدم أتته الملائكة لتقبضه، قال: إنه قد بقي من عمري أربعون عاماً. فقيل له: إنك قد وهبتها لابنك داود. قال: ما فعلت. وأبرز الله عليه الكتاب، وشهدت عليه الملائكة.

- وقال الإمام مالك بن أنس في موطنه، عن زيد بن أبي أنيسة، أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني، أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى" [الأعراف: 172]. فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال: إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون. فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال رسول الله ﷺ: إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار.

تعلم ذاتي

- وهذه الأحاديث كلها دالة على استخراجه تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر، وقسمتهم قسمين؛ أهل اليمين، وأهل الشمال. وقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي.
- فأما الحديث الذي رواه أحمد، حدثنا حسين بن محمد، حدثنا جرير يعني ابن حازم، عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قبلا، قال: ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إلى قوله: المبطلون. فهو بإسناد جيد قوي على شرط مسلم رواه النسائي، وابن جرير، والحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد المروزي به. وقال الحاكم : صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، إلا أنه اختلف فيه على كلثوم بن جبر، فروى عنه مرفوعاً، وموقوفاً. وكذا روى عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً. وهكذا رواه العوفي، والوالبي، والضحاك، وأبو جمرة ، عن ابن عباس قوله. وهذا أكثر وأثبت، والله أعلم.
- وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، ويعلى، ومحمد ابنا عبيد قالوا: حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار. ورواه مسلم من حديث وكيع، وأبي معاوية، عن الأعمش به.
- ثم لما أسكن آدم الجنة التي أسكنها سواء كانت في السماء أو في الأرض على ما تقدم من الخلاف فيه أقام بها هو وزوجته حواء عليهما السلام يأكلان منها رغدا حيث شاءا، فلما أكلا من الشجرة التي نهيا عنها سلبا ما كانا فيه من اللباس، وأهبطا إلى الأرض، وقد ذكرنا الاختلاف في مواضع هبوطه منها، واختلفوا في مقدار مقامه في الجنة، فقيل: بعض يوم من أيام الدنيا. وقد قدمنا ما رواه مسلم، عن أبي هريرة مرفوعاً وخلق آدم في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة.

تعلم ذاتي

- وتقدم أيضاً حديثه عنه: وفيه يعني يوم الجمعة خلق آدم، وفيه أخرج منها. فإن كان اليوم الذي خلق فيه، فيه أخرج، وقلنا: إن الأيام الستة كهذه الأيام، فقد لبث بعض يوم من هذه. وفي هذا نظر. وإن كان إخراجه في غير اليوم الذي خلق فيه أو قلنا: بأن تلك الأيام مقدارها ستة آلاف سنة، كما تقدم عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، واختاره ابن جرير، فقد لبث هناك مدة طويلة. قال ابن جرير: ومعلوم أنه خلق في آخر ساعة من يوم الجمعة، والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فمكث مصورا طينا قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين سنة، وأقام في الجنة قبل أن يهبط ثلاثا وأربعين سنة وأربعة أشهر، والله تعالى أعلم.
- وذكر ابن جرير، عن ابن عباس إن الله قال: يا آدم إن لي حرما بحيال عرشي، فانطلق فابن لي فيه بيتاً فطف به. كما تطوف ملائكتي بعرشي. وأرسل الله له ملكاً فعرفه مكانه، وعلمه المناسك، وذكر أن موضع كل خطوة خطاها آدم صارت قرية بعد ذلك.
- وعنه أن أول طعام أكله آدم في الأرض أن جاءه جبريل بسبع حبات من حنطة فقال: ما هذا؟ قال: هذا من الشجرة التي نهيت عنها فأكلت منها. فقال: وما أصنع بهذا؟ قال: ابذره في الأرض. فبذره، وكان كل حبة منها زنتها أزيد من مائة ألف، فنبتت، فحصده، ثم درسه، ثم ذراه، ثم طحنه، ثم عجنه، ثم خبزه، فأكله بعد جهد عظيم، وتعب، ونكد. وذلك قوله تعالى: "فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى" [طه: 117]. وكان أول كسوتهما من شعر الضأن جزاه، ثم غزلاه فنسج آدم له جبة، ولحواء درعاً وخماراً.
- واختلفوا هل ولد لهما بالجنة شيء من الأولاد؟ فقيل: لم يولد لهما إلا في الأرض. وقيل: بل ولد لهما فيها. فكان قابيل وأخته ممن ولد بها، والله أعلم.
- وذكروا أنه كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى، وأمر أن يزوج كل ابن أخت أخيه التي ولدت معه، والآخر بالأخرى، وهلم جرا، ولم يكن تحل أخت لأخيها الذي، ولدت معه.

■ توبة الله على آدم عليه السلام وإخراجه من الجنة :

عندما وقع آدم وحواء في المعصية أسرعا في طلب الصفح والمغفرة من الله ، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وذلك بخلاف ما فعله الشيطان الذي قال بعد أن عصى ربه في السجود لآدم : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (ص:٧٦) .

تاب الله على آدم وحواء، لكنه قضى بأن يهبطا من الجنة إلى الأرض، فيعمر آدم وذريته الأرض ويتمتعون بها إلى حين انتهاء آجالهم، وأخبر سبحانه أنه سيمدهم بالهدى والرشاد فمن تبع هدى الله فقد نجا من الضلال والشقاء.

معلومات إثرائية

لم يخلق الله آدم عليه السلام ليعيش في الجنة ، وإنما خلقه ليعيش في الأرض بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فيسكنها هو وذريته في الحياة الدنيا ثم تأتي الآخرة فيكون هناك ثوابٌ وعقاب ، فيدخل المؤمنون الجنة ويعذب الكافرون في النار ، وتلك هي مشيئة الله التي أرادها ببني آدم.

استنتج الدروس والعبر المستفادة من قصة نبي الله آدم عليه السلام.

١. يجب أن نحافظ على الفطرة البرينة والتي لا تتحقق إلا بالطاعة والعبادة والامتثال لأمر الله.
٢. تحقيق العبودية لله فالتسبيح والتحميد والتقديس لله وحده هو الغاية للوجود وهو عمل الملائكة يسبحون بحمده ويقدسونه ويعبدونه ولا يفترون عن عبادته وهذه هي غاية خلق الإنسان.
٣. على الإنسان أن يرد الأمر كله لله تعالى مع تحققه بالعبودية في كل مظاهر حياته فرغم عبودية الملائكة لا يزيدون عن كونهم عبيداً لله لا يشتركون معه في علمه ولا يعرفون الحكمة في أقداره ولا يعلمون الغيب.
٤. مهمة الإنسان هي أعمار الأرض وبنائها وهذا ما أوضحه القرآن في أن الله خلق الإنسان خليفته في الأرض من أجل أن يقوم بعمارتها وتنميتها وتحقيق إرادة الخالق في تطوير الأرض وترقيتها وتعديلها.

٣ الدرس الثالث — نوح عليه السلام

نوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل ، وهو أول رسول أرسله الله بدعوة التوحيد إلى الأرض بعد أن ضل كثيرٌ من الناس وانحرفوا عن عبادة الله وحده فانتشر بينهم الشرك وظهرت فيهم عبادة الأصنام .

وكانت الفترة الواقعة بين آدم ونوح تقدّر بعشرة قرون ، فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام " . هل المقصود بالقرن مائة عام؟ أم الجيل من الناس؟ **القرن: فقد اختلف في معناه: هل هو مائة سنة أو أقل أو أكثر؟ كما ذكر القرطبي والبغوي والشوكاني في تفاسيرهم، وكثيرون فسروه بالجيل الذي يقترنون في زمان واحد، والمسألة ـ على كل ـ ليس فيها نص حتى يجزم بشيء فيها.**

■ عبادة الأصنام :

عاش قوم نوح في أرض العراق وكانوا يعبدون الأصنام ، وقد فشا فيهم هذا الانحراف الديني بعد أن مات خمسة رجال صالحين زمن أجدادهم ، فقام الناس آنذاك بنحت تماثيل لهم حتى يتذكرونهم في كل حين فينشطون للاقتداء بأعمالهم الصالحة. وبمضي الوقت اكتسبت تلك التماثيل شيئاً من الاحترام والتقديس، ثم لم تلبث أن صارت آلهة تُعبد من دون الله. وهذه الأصنام الخمسة هي كما أشار القرآن الكريم: ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق، ونسر.

■ رسالة نوح عليه السلام :

كان نوح عليه السلام على فطرته السليمة مؤمناً بالله تعالى قبل بعثته ، فلم ينغمس في الانحراف الديني الذي فشا بين قومه. وعندما اختاره الله لأداء الرسالة السماوية وضع قومه أمام حقيقة الألوهية وحقيقة البعث والنشور ، فدعاهم إلى نبذ عبادة الأصنام وإفراد الله وحده بالعبادة . قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (هود : ٢٥ ، ٢٦).

ثم مضى يبين لهم أن طاعة الله والتوبة إليه واستغفاره سببٌ في زيادة العمر وسعة الرزق. قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ (نوح: ١٠ - ١٢).

في هذا الدرس

- رسالة نوح عليه السلام .
- موقف قوم نوح من دعوته.
- موقف نوح عليه السلام من قومه.
- الطوفان وغرق قوم نوح.

مفاهيم ومصطلحات

التمثال: اسم للشيء المصنوع مشبهًا بصوره.

الصنم: ما كان - غالباً- على صورة إنسان من خشب.

النصب: حجارة تنصب على هيئة هيكل أو بناء فيعبدونها ويذبحون عندها.

تعلم ذاتي

افتح المصحف على

سورة نوح

واقرأ الآيات من ١٣ - ٢٠.

ثم استعمل التدرج مع قومه في وسائل الإقناع ، فتارة يدعوهم إلى التفكير في أنفسهم وأطوار نشأتهم ، وتارة يذكرهم بقدرة الله وآياته الكبرى في الآفاق والكون.

مدّ الله في عمر نوح عليه السلام فلبث في قومه تسعمائة وخمسين عاماً يدعوهم فيها إلى الله، ورغم طول هذه الفترة الزمنية إلا أن نوحاً لم يفقد الأمل في هدايتهم ولم يبلغ درجة اليأس من تكذيبهم ؛ وإنما حرص على استثمار كل وقته في الدعوة، فكان يدعو قومه في الليل والنهار ويدعوهم سراً وجهراً ، يغشى مجالسهم ويحاورهم فرادىً ومجتمعين، وينصح لهم في رفق ولين ، فماذا كانت النتيجة ؟

■ موقف قوم نوح من دعوته :

لم تجد دعوة نوح عليه السلام في قومه آذاناً صاغية أو قلوباً واعية باستثناء قلة من الضعفاء والمساكين الذين آمنوا به وصدقوا ما جاء به من الحق ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود: ٤٠). أما الأكثرية فقد استقبلوا دعوته بالشك والارتياب، ثم تحركت في أنفسهم دواعي الغيرة والحسد فاتهموا نوحاً بعدة تُهم منها:

فكر

اتُهم نبينا محمد ﷺ بالجنون. من اتهمه؟ ومتى؟

اتهم كفار قريش نبينا محمد بالجنون في بداية دعوته لهم؛ للتشكيك بنبينا محمد ﷺ، ثم التشكيك في رسالته.

١) أنه يسعى وراء الكسب الشخصي ليمتاز عليهم بما لا يحسنونه ، وسخروا من قوله بأنه نبي مرسل إليهم ، فالرسل والأنبياء - بزعمهم - ينبغي ألا يكونوا بشراً مثلهم يأكلون ويشربون ، وإنما ملائكة مقربون. وعندئذ استقر رأيهم على وصفه بالجنون ، وتلك هي التهمة التقليدية التي يلصقها أئمة الكفر بالمرسلين . قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً ۖ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (المؤمنون: ٢٣ - ٢٥).

٢) استنبطوا حجة أخرى في تكذيب دعوة نوح عليه السلام، وهي أن أتباعه والمؤمنين برسالته ليسوا من الكبراء أو من عِلْية القوم، وإنما هم المستضعفون والأراذل وأصحاب المهن الوضيعة، وهؤلاء آمنوا بالدعوة دون روية أو تفكير، وهذا وحده دليل كاف على زيف دعوته! ، وقد نسي هؤلاء أن الحق الأبلج لا يحتاج إلى روية أو تفكير . قال تعالى : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (هود: ٢٧) .

٣) عاد قوم نوح وناقضوا أنفسهم عندما أعلنوا عن استعدادهم لقبول الدعوة بشرط أن يطرد نوح عليه السلام الضعفاء والأراذل الذين اتبعوه إذ لا يحسن أن يقف الكبراء والضعفاء في صف واحد وبين الفئتين ما بينهما من فوارق مادية واجتماعية! ومنطق الاستعلاء هذا؛ صفةٌ ملازمة للمكذبين بالرسل على اختلاف عصورهم، فقد قيل لنبينا محمد ﷺ مثل هذا الكلام ، إذ اشترط عليه كفار قريش أن يطرد عنه الضعفاء من المؤمنين أمثال بلال وصهيب وخبّاب وعمار وغيرهم ، مقابل دخولهم في دعوته فنهاه الله عن ذلك.

■ موقف نوح عليه السلام من قومه:

لـم يرضـخ نوح عليه السلام لهذه المساومة حيث أجابهم في نبرة حازمة أن من يسمونهم بـ (الأراذل) إنما هم المؤمنون، وأن الانتقاص من قدرهم لا يحول بينهم وبين ما أعده الله لهم من خير عظيم. ومع هذا فلم تؤثر نصيحة نوح عليه السلام في قومه، إذ لجوا في طغيانهم وأصروا على العناد والاستكبار حتى بلغ بهم الأمر إلى الاستخفاف بما أنذرهم به نوح عليه السلام من الوعيد والعذاب الشديد للمكذبين. ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (هود: ٣٢).

أدرك نـوح عليه السلام حجـم التذمر والسخـط الذي أبداه قومه تجـاه دعوته، ولاحظ أن أعداد الكافريـن في ازدياد، لا سيمـا وأن المـلأ من قومه كانوا يتواصون بتكذيب دعوتـه حتى نشأت فيهم أجيالٌ توارثـت التكذيب والصدود كابراً عن كابر، فكانوا يضعون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعون كلامه ويخفون وجوههم عنه في المجالس والطرقات طلباً للتنكر واستثقـالاً لحديـث الدعوة. أمام هذا الطغيـان الفاجر لجأ نوحٌ عليه السلام إلى ربه ليجعل له من هـذا الضيق فرجاً ومخرجاً ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ١١٧، ١١٨). ثـم دعا نوحٌ عليه السلام على قومه بالهلاك ليطهر الأرض مـن رجسهم ولئـلا يتغلغل الكفر بين الناس على وجـه الأرض، لاسيما بعد أن ثبـت لـه أن فسادهم لم يكن ليقتصر عليهـم وإنما تعداهم إلى غيرهم، فصـار الكفر ينتقل إلى ذريتهم بالوراثة. قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح: ٢٦، ٢٧).

معلومات إثرائية

كان انهمـاك نـوح عليه السلام في بناء السفينة مفاجئًـا لبني قومه حيـن رأوه يتحول مـن نبي مرسل إلـى نجـار، فأخذوا يتـندرون به في مجالسهـم. وكلما أمعنوا في السخريـة والاستهـزاء أجابهـم نـوح عليه السلام بأنـه سيسخـر منهم قريباً لأنه يعلم ما سيحل بهم من العذاب والهلاك. قـال تعـالـى: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ﴾ (هود: ٣٨).

■ الطوفان وغرق قوم نوح عليه السلام:

صناعة نوح للسفينة: استجاب الله لدعوة رسوله نوح عليه السلام وأوحى إليه أنه سيغرق الكافرين، ثم أمره أن يأخذ بأسباب النجاة من الغرق، فيصنع السفينـة استعداداً لليـوم الموعود. شرع نوح عليه السلام بصناعـة الفلك من ألـواح الخشـب والمسامير ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ القمر: ١٣

أمـر الله نوحاً عليه السلام حين فرغ من عمله في صناعة السفينة أن يجمع من كل صنـف من الأحيـاء زوجين (ذكر وأنثـى) ويحملها معه فـي السفينة حتى تتناسـل ويبقى نوعها على الأرض بعد غـرق سائر الأحياء. كما أمره جل وعلا أن يحمـل معه جميـع أهله وذويه باستثناء ابنٍ له وإحدى زوجاته لأنهما كفرا بالله. وأمـره أيضاً أن يحمل معه المؤمنين بدعوته من غير أقربائه وهم قليلون.

بدء الطوفان: ثم جاء وعد الله بالحق، وظهرت العلامة التي أوحى الله بها إلى نوح عليه السلام عن بدء الطوفان، وهي خروج الماء من موقد النيران،

وإذاً فقد فار التنـور وانهمر المطر الغزير من السماء وتفجرت عيون الأرض ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (القمر : ١١ - ١٢).

ركب نوح عليه السلام ومن معه في السفينة وهم يذكرون الله ويسبحونه، ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (هود : ٤١).

نـوح عليه السلام وابنه : بينما كانـت السفينة تجري بهم في أمواج عاتية ؛ رأى نـوحٌ عليه السلام ابنه في جهة لم يصلها المـاء بعد ، فأدركته عاطفة الأبوة فدعـا ابنه ليركـب معهم ، لكن الابن لم يستجب لنـداء أبيه حتى في هذه اللحظـة العصيبـة، وأصر على عصيانـه معتقداً أن ما يجـري عبارة عن سيول جارفة لا تلبث أن تتوقف ويزول خطرهـا، وقـال : ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ (هود: ٤٣)، لكن الموج أدركه فكان من المغرقين.

أمـر الله الأرض بـأن تبلع ماءهـا ، وأمر السماء بـأن تقلع وتكف عن المطر بعـد أن تحقق هلاك الكافرين فانحسر المـاء واستوت سفينة نوح راسية على جبل الجودي ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (هود : ٤٤) .

أذن الله لنوح عليه السلام أن ينزل من السفينة إلى الأرض فهبط محفوفاً ببركات من الله هو ومن آمن معه ، حيث أخذ يستأنف الدعوة إلى الله على أرض طيبة طهرها الله من دنس الشرك .

لقد كان الطوفان أول نوعٍ من العذاب نزل بساحة المكذبين بالرسل والأنبياء ، فكيف كان عقاب ؟

استنتج الدروس والعبر المستفـادة من قصة نبي الله نوح عليه السلام .

١. العمر الطويل الذي مكثه والصبر الجميل من نوح عليه السلام.
٢. الإيمان الصادق واليقين البالغ الذي حمله نوح عليه السلام تجاه أراجيف قومه وإغراءاتهم.
٣. سلاح الطريق وهو الصبر العتيد الذي تحصن به هذا الداعية الفذ أمام إعراض المكذبين وكيد الظالمين وعداوة المنحرفين.
٤. استشعار أهمية الدعوة وفضلها، وما فيها من الأجر العظيم والنعيم المقيم، فإن نوحًا عليه السلام لم يكن ليرهق نفسه لو لم يكن في الدعوة الأجور الوافرة والذخائر الباقية.

فكر

اقرأ الآيات في سورة هود

من الآية رقم (٢٥)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

إلى الآية رقم (٤٩)

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾

واستخلص الحكمة من

إعلام النبي ﷺ بها.

هذا وحياً من الله تعالى للنبي ﷺ؛ حتى يصبر النبي ﷺ على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته، وما تلقى من أذى العرب الكفار، كما صبر نوح على أذى قومه.

٤ الدرس الرابع — إبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء، وهو من أولي العزم من الرسل. اتخذه الله خليلاً ، ثم جعله إماماً ، ثم صار أمةً . لوحده . قانتاً لله حنيفاً .

في هذا الدرس

- نشأته ودعوته.
- هجرته.
- نبع ماء زمزم.
- إسماعيل الذبيح عليه السلام .
- بناء الكعبة.

■ نشأته ودعوته:

نشأ إبراهيم عليه السلام في أرض بابل. العراق قديماً. في بيئة وثنية شاع فيها ما يُعبد من دون الله ؛ فقسمٌ كان يعبد الأصنام، وقسمٌ آخر يعبد الكواكب. وقيل إنهم كانوا جميعاً يعبدون الكواكب لكنهم رمزوا لها بأصنام وتماثيل كانوا يتقربون إليها.

دعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر ، فبدأ بأبيه (آزر) وكان عابد وثنٍ مشركاً بالله ، فخصّه بالنصيحة وحذره عاقبة الكفر، فما كان جواب الأب إلا الإعراض والصدود.

معلومات إثرائية

لم يفتّ موقف آزر في عضد ابنه إبراهيم ولم يوهن من عزيمته ؛ وإنما مضى صادعاً بأمر الله منذراً قومه سوء العاقبة إن هم أصروا على العناد والاستكبار، فأخذهم أولاً بالتدرج في وسائل الإقناع وأراد أن يضعهم أمام الحقيقة الكبرى، فعمل على المفاضلة بين عبادة الكواكب ، ثم نقض عبادة القمر ، وأتبعها بإعلانه التبرؤ من عبادة الشمس ، حتى انتهى بهم إلى بطلان عبادة الكواكب فهي آفلةٌ غاربةٌ والله حيٌّ باق.

بذل إبراهيم عليه السلام جهده وطاقته في دعوة قومه بمختلف فئاتهم إلى دين الله الحق ، لكن هؤلاء ظلوا مستمسكين بغوايتهم، فقرر أن يستعمل أسلوباً آخر يقوم على أساس الفعل والحركة لا القول والكلمة.

إبراهيم عليه السلام والأصنام: لقد رأى إبراهيم عليه السلام أن يبيّن لقومه بطريقة عملية كيف أن هذه الأصنام التي يعبدونها لا تستطيع أن تدفع الأذى عن نفسها فضلاً عن أن تملك لغيرها خيراً أو شراً. وجاءته الفرصة المواتية حين احتفلوا خارج المدينة بيوم عيدٍ لهم.

فذهب إبراهيم عليه السلام إلى المعبد الذي أقيمت فيه أصنامهم ، وقد اصطفت هذه الأصنام إلى جوار الصنم الأكبر فهوى عليها ضرباً حتى حطمها جميعاً وجعلها قطعاً صغيرة ، لكنه أبقى على كبير الأصنام .

عاد القوم إلى المدينة ودخلوا معبدهم فأصابتهم الدهشة والفزع مما شاهدوه ، فتساءلوا عمن عبث بمقدساتهم وحطم آلهتهم؟ وانصرفت أذهانهم مباشرة إلى إبراهيم عليه السلام فهو المتهم الأول لأنه كان يذكر آلهتهم بسوء. فجيء به للمحاكمة على أعين الناس وسألوه : ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ . الأنبياء : ٦٢ ، وهنا يتهيأ إبراهيم لمخاطبة عقولهم بأسلوب حكيم ، فيردّ عليهم أن كبيرهم هذا هو من حطم الأصنام لأنه غضب

مـن عبادتكـم لها وهو أكبر منها . فاسألوه ليجيبكم ! وضع إبراهيم قومه في موقف حرج جعلهم يشعرون بالخجل حتى أقبـل بعضهـم على بعض يتلاومون. لقد أعادهم الموقف إلـى شيء من التدبر والتفكر فقالوا فيما بينهم :﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. الأنبيـاء : ٦٤ .. لكنهم حاولوا إظهـار التماسك فقالوا : لقد علمت أنهم لا ينطقون فكيف نسألهـم؟، وهنـا يكـون إبراهيم عليه السلام قد مهّد لظهور حجتـه عليهم بشكل حاسم ، فقال مويخاً : ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ . الأنبياء : ٦٦ ، ٦٧ ..

إبراهيم عليه السلام والنار: لقد كان بياناً شافياً وحجة دامغة لم يتمكن القوم من الرد عليها ولم يعد في استطاعتهم مواصلة المحاكمة وقد انقطعت حجتهم ، فقفزوا مباشرة إلى إصدار الحكم فقرروا معاقبة إبراهيم عليه السلام إما بالقتل أو بالتحريق بالنار ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ . العنكبوت : ٢٤ . ، ولجأوا إلى الخيار الثاني إمعاناً في التشفي، فأوقدوا النار حتى اضطرمت وتأججت ثم جاءوا بإبراهيم عليه السلام مكتوف اليدين، وحين رأى النار لهج لسانه بذكر الله وأخذ يقول : ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ .آل عمران : ٧٣. . قذفوا به حتى استقر في جوفها واختفى عن أعينهم بما يحيط به من الدخان واللهب. لقد ظنوا أن أمره قد انتهى ، ولم يدركوا أن عناية الله تلاحظ أولياءه والمؤمنين به فتمنع عنهم كيد الكائدين. لم تمسّ النار إبراهيم عليه السلام بسوء ، بل أمرها الله أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم. لقد كانت آية مبهرة ، ومع ذلك فلم يؤمن بدعوة إبراهيم عليه السلام إلا القليلون، وأما أكثر الناس فقد اختاروا الدنيا على الآخرة وأقبلوا على حياة الترف والنعيم ولكن إلى حين.

■ هجرة إبراهيم عليه السلام :

أدرك إبراهيـم عليه السلام أن الحيـاة مع هؤلاء الوثنييـن الجاحدين غير مجدية ، إذ لم يؤمـن بدعوته إلا نفرٌ قليلون منهم زوجته وابن أخيه (لوط)، فتبرأ إبراهيم عليه السلام من قومه لإصرارهم على الشرك بالله ، وأعرض عنهم وامتدح الله موقفـه هـذا ، فقـال تعالـى :﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ .الممتحنـة:٤..

فر إبراهيم عليه السلام بدينه متنقلاً من مكان إلى آخر ، فقد رحل أولاً بمن آمن معه من العراق إلى فلسطين ، ثم نزح عنها إلى مصر فأقام فيها مدة من الزمن تزوج خلالها بجارية تدعى (هاجر) ورزق منها بولده إسماعيل عليه السلام إذ كانت زوجته الأولى عقيماً لم تلد، لكنها حملت بعد ذلك ووهبها الله على الكبر إسحاق عليه السلام وتلقى إبراهيم عليه السلام هذه النعمة بالشكر والثناء: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ إبراهيم : ٣٩ ..

أوحـى الله لإبراهيـم عليه السلام أن يأخـذ هاجر وإسماعيـل عليهم السـلام . وكان يومئذ رضيعاً . ويذهـب بهما إلى موضـع فـي الحجاز، وهو وادٍ مجدب ليـس فيه ماءٌ ولا زرع ، فامتثل لأمر ربه وأسكنهما في هـذا المكان المقفر، ولمّا هـمّ بالرحيـل أشفقت هاجر أن يدعهما إبراهيم عليه السلام لكنها اطمأنت حيـن أخبرها أن الله أمره بهذا ، ثم انصرف

إبراهيم عليه السلام من عندهما وهو يدعو ربه: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ -إبراهيم:٣٧..

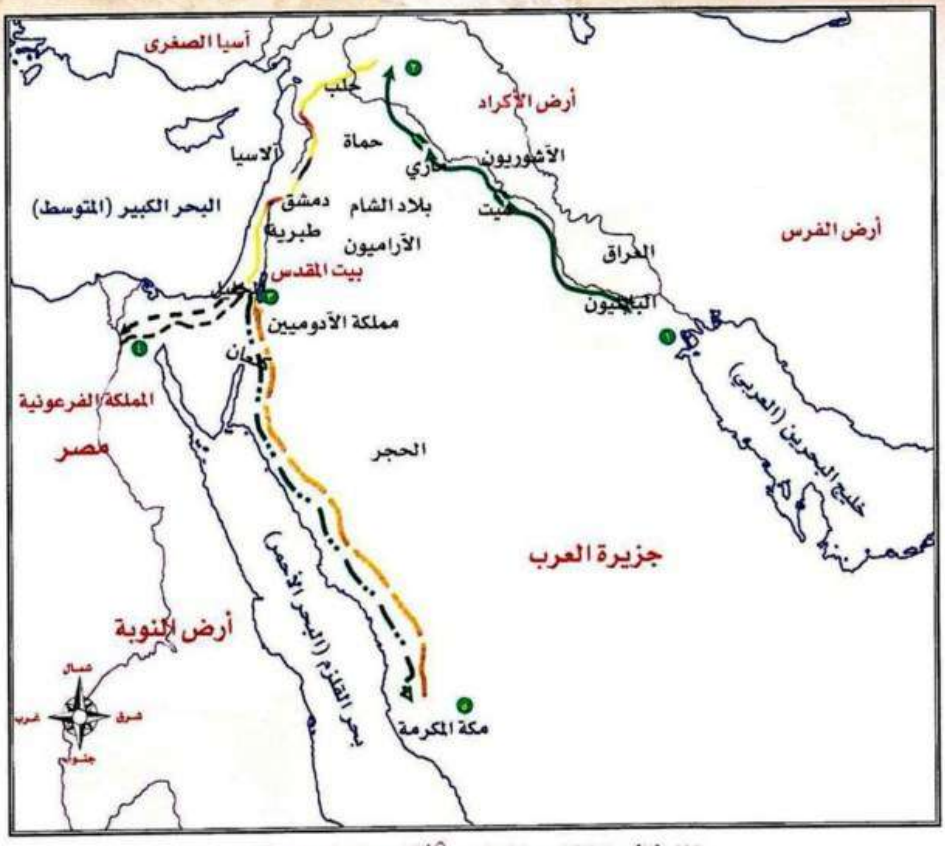

شكل (٢) مخطط لهجرة إبراهيم عليه السلام من بابل إلى فلسطين
وهجرة هاجر وإسماعيل من فلسطين إلى مكة

■ نبع ماء زمزم :

شكل (٣) بيت الله الحرام

ترك إبراهيم عليه السلام لزوجته هاجر وطفلها شيئاً من الطعام والشراب، فنفد ما لديهما وأدركهما العطش. لم تحتمل هاجر أن تنظر إلى ابنها يكاد يقتله الظمأ فجعلت تبحث له عن الماء وسارت على وجهها تعدو وتهرول، فصعدت مكاناً مرتفعاً يُعرف بـ(الصفا) فنظرت لعلها تجد ماءً فلم تر شيئاً ، ثم هبطت ومشت حتى جاءت مكاناً مرتفعاً آخر يُعرف بـ(المروة) فصعدته ونظرت من فوقه فلم تر شيئاً ، فعادت ثانية إلى جبل الصفا

واستمرت في سعيها الدؤوب عن الماء تتردد بين الصفا والمروة سبع مرات ، وفي المرة الأخيرة وبينما كانت على جبل المروة سمعت صوتاً فالتفتت فإذا هي بملك من الملائكة يبحث في جناحه عند موضع زمزم حتى ظهر الماء ، فجاءته واغترفت منه تسقي ولدها وتروي ظمأها.

لقد كان ظهور الماء عامل جذب لسكنى الناس في هذه البقعة المباركة التي عُرفت بـ(مكة) ، حيث نزلت قبيلة جُرهُم العربية على الماء بعد أن استأذنوا هاجر في ذلك.

■ إسماعيل الذبيح عليه السلام :

رأى إبراهيم عليه السلام في منامه أن الله يأمره بذبح ولده إسماعيل عليه السلام. وقد شب وترعرع. ، ورؤيا الأنبياء حقٌ لأنها بمثابة الوحي من الله ، ولذا عزم إبراهيم عليه السلام على تنفيذ ما أمره الله به، وذلك في إحدى زياراته لأهله بمكة، ولم يثنه عن عزمه كون إسماعيل ولده الوحيد آنذاك وقد جاءه على كبر أو كونه بلغ سنّاً من الشيخوخة لا يُرجى معها أن يُرزق بولد، فقدّم رضا الله على رضا نفسه.

عرض إبراهيم عليه السلام الأمر على ابنه إسماعيل عليه السلام فاستسلم الابن لقضاء الله بصبر وثبات وشجع أباه على المضي لما أمره الله به، وعند التنفيذ أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يكف عن ذبح ابنه فقد افتداه ربه بذبح عظيم ومن ثم حصل المقصود من ابتلاء الله لنبيه إبراهيم ، وصار هذا الموقف عيداً للمسلمين يذكرهم بمعنى الإسلام الذي كان عليه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

■ بناء الكعبة :

أمضى إبراهيم عليه السلام سنين لم ير فيها ابنه إسماعيل عليه السلام ولم يزر خلالها مكة ؛ لكن الله أمره أن يتوجه إليها لحدثٍ عظيم ، لقد شاء تعالى أن يتخذ بيتاً لعبادته في موضع محدد من مكة ، وكلف إبراهيم عليه السلام ببناء البيت ، فأخبر ابنه إسماعيل عليه السلام واشترك الاثنان في العمل فكان إبراهيم عليه السلام يباشر البناء وإسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة ، فلما ارتفع البنيان وضعف إبراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة. وكان حينئذ شيخاً مسناً. قام على حجرٍ وهو (مقام إبراهيم). وهكذا قام البيت في مكة وصارت مكة حرماً آمناً.

معلومات إثرائية

لما فرغ إبراهيم من بناء البيت دعا لهذا البلد الأمين بدعوات صالحات :

﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ . البقرة : ١٢٦ . ١٢٧. والآية الكريمة تشير إلى أن معالم البيت العتيق وقواعده كانت معلومة منذ ما قبل إبراهيم عليه السلام.

استنتج الدروس والعبر المستفادة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام .

١. الدعاء لله تعالى؛ فلا يُصرف إلى غيره سبحانه وتعالى.
٢. طلب الولد الصالح.
٣. التأدب في الدعاء.
٤. خُلُقُ الحِلْمِ.

٥ الدرس الخامس — لوط عليه السلام

في هذا الدرس

- دعوة لوط عليه السلام .
- الملائكة في طريقهم إلى قرية لوط عليه السلام .
- هلاك قوم لوط عليه السلام .

أشار القرآن الكريم إلى أن لوطاً عليه السلام كان من المؤمنين المصدقين بدعوة إبراهيم عليه السلام، وقد خرج معه مهاجراً من العراق إلى الشام، قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ العنكبوت: ٢٦ ..

استقر لوط عليه السلام في قرية (سدوم)، وقد شاعت فيها الرذائل وانتشرت بين أهلها العادات المستقبحة، فكانوا يجاهرون بالمنكرات في مجالسهم، ويقطعون الطرق على المسافرين فيسلبونهم وينهبونهم، ثم ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحدٌ من البشر، إنها جريمة فعل الفاحشة أو (الشذوذ الجنسي).

■ دعوة لوط عليه السلام :

كانت رسالة لوط عليه السلام إلى قومه حرباً على الشذوذ الجنسي، وتقويماً للانحراف الأخلاقي المدمر والسلوك القبيح الذي تأباه الحيوانات. لقد استنكر لوط عليه السلام هذه الفواحش التي انغمس فيها قومه واعتبرها عدواناً على الفطرة السليمة، ودعاهم إلى تقوى الله وطاعته وحذرهم سوء العاقبة مبيّناً لهم أنه لا يطلب منهم ولا من غيرهم أجراً أو مكافأة نظير الجهود التي يقوم بها لتطهير مجتمعاتهم من الرجس، لكنهم تمردوا واستكبروا واستعجلوا التهديد والوعيد بالعذاب. قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (العنكبوت: ٢٨، ٢٩).

لم يستجب قوم لوط لدعوة نبيهم للتطهر والتوبة والاستغفار، بل استخفوا بما يعدهم به من العقاب الإلهي، وهددوا لوطاً عليه السلام بإخراجه من بلدتهم إن هو استمر في نصحه ووعظه لهم، فأعلن تبرؤه منهم واستنكاره لأعمالهم الشائنة.

■ الملائكة في طريقهم إلى قرية لوط عليه السلام :

عندما حان موعد إهلاك الظالمين من قوم لوط؛ أرسل الله ملائكة في صورة بشر، وقد نزلوا أولاً ضيوفاً على إبراهيم عليه السلام فلم يعرفهم لكنه قام بواجب الضيافة، وحين رآهم لا يأكلون أوجس في نفسه خيفة منهم، فبادروا إلى تسكين روعه فبشروه بأن الله سيرزقه بولد اسمه (إسحاق)، ثم أخبروه أنهم ملائكة مرسلين بالعذاب والهلاك على قرية لوط. أشفق إبراهيم عليه السلام على لوط عليه السلام ومن معه من المؤمنين أن يصيبهم شر، فأخذ يجادل الملائكة لصرف الهلاك عن القرية حتى حين، ثم قال لهم: إن فيها لوطاً، فأجابوه: نحن أعلم بمن فيها، وسوف ينجو لوط

وأهله والمؤمنون به ما عدا امرأته فإنها سوف تهلك مع قومها ؛ إذ ساء عملها وخانت زوجها بكفرها وكانت مع الظالمين. قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ (العنكبوت : ٣١ ، ٣٢).

ترك الملائكة إبراهيم عليه السلام وذهبوا إلى قرية (سدوم) فنزلوا ضيوفاً على لوط عليه السلام وهو يجهل حقيقتهم، فاشتد ضيقه من مجيئهم وقد رآهم في صورة فتيان حسان الوجوه، إذ خشي من اعتداء قومه عليهم متى علموا بوجودهم في منزله، لا سيما وأن واجب الضيافة يقتضي منه حمايتهم وكف الأذى عنهم. لكن امرأة لوط خانت زوجها فنشرت خبر وجود الفتيان بين قومها فأسرع أولئك المجرمون إلى منزل لوط عليه السلام وطلبوا منه تسليم ضيوفه ليفجروا بهم.

حاول لوط عليه السلام أن يستثير ما تبقى في نفوس قومه من معاني المروءة فأخذ يذكرهم برعاية تقاليد الضيافة وما تستتبعه من التزامات ، ثم أخذ يرشدهم إلى ما شرعه الله لهم من الزواج بنساء قومهم ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ . هود : ٧٨ ، ٧٩ ..

لقد أراد أن يعيدهم إلى الجادة المستقيمة، غير أنهم أجابوه أنه يعلم ما يريدون، فلجأ لوط عليه السلام إلى مدافعتهم ولكن دون جدوى وهنا شعر لوط عليه السلام بضعفه بينهم، وهو غريب بين القوم، نازحٌ إليهم من مكان بعيد، وليس له عشيرة تحميه، فقال : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ . هود : ٨٠ . وحينئذ تحرك ضيوفه فنهضوا وأخبروه أنه يأوي إلى ركن شديد، فلا جزع ولا خوف لأنهم ملائكة مرسلون ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ﴾ . هود : ٨١ .. أشرقت نفسه عليه السلام بالأمن والاطمئنان، وأما أولئك المجرمون فعندما همّوا بتنفيذ نواياهم ضربتهم الملائكة بالعمى فتبدد شملهم وعادوا من حيث أتوا ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ . القمر : ٣٧ ..

معلومات إثرائية

بعث الله لوطاً إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله عزوجل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم أحد من بني آدم ولا غيرهم وهو إتيان الذكور دون الإناث وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم. قال عمرو بن دينار في قوله تعالى :

﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

قال : ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط. وقال الوليد بن عبدالملك الخليفة الأموي باني جامع دمشق : لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً .

تعلم ذاتي

قال تعالى:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾

(هود ٧٨ - ٧٩)

لماذا سماهن بناته؟

ارجع لتفسير ابن كثير في سورة هود الآية ٧٨ - ٧٩

المجلد الثاني ص ٥٩٥

يرشدهم إلى نسائهم، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد [للرجال والنساء].

■ هلاك قوم لوط عليه السلام :

أمـر الملائكـة لوطاً عليه السلام أن يخرج من بيته ليلاً مصطحباً أهله ومن آمـن به ، فإذا خرجوا فلا يلتفت منهم أحدٌ إلـى الخلـف ؛ لئلا يرى هول العذاب الذي سيحل بالقرية صباحاً فيصاب منه بشـر ، ما عدا امرأته فإنها سوف تلتفت وسيصيبها ما أصابهم. إنه عذابٌ من نوع غريب ، يكفي لوقوعه بالإنسان مجرد النظر إليه.

وحيـن جـاء الصبح وحلّ موعد الهـلاك أمر الله جبريل عليه السلام فاقتلع بلدتهم بطـرف جناحه ثم رفعها إلى عنان السمـاء ثـم هوى بها إلى الأرض حتـى غارت وانفجر الماء من الأرض ، فظهرت مكان هـذه البلدة الظالم أهلها بحيرة ماؤهـا شديـد الملوحة ، ويُعتقد أن مكانها الآن هو (البحر الميت). لقد هلـك القوم عن بكرة أبيهم ولم يبق منهم أحد وطويت صفحتهم عن الدنيا .

استنتج الدروس والعبر المستفـادة من قصة نبي الله لوط عليه السلام .

١. أن مهمة الداعية الأولى هي الدعوة إلى تقوى الله، والأخذ بالأساليب الحكيمة لإخراج الناس مما هم فيه من فساد وضلال، وأن يكون عمل الداعية ليس تحصيلاً لأجر أو كسباً لسمعة، بل الالتزام بأمر الله في الدعوة إلى دينه الحق، وإخراج الناس من حمأة الظلمات.

٢. أن الخروج عن الفطرة السوية التي فطر الله عباده المكلفين عليها هو انحطاط بالإنسان عن مقامات التكريم التي كرمه - الله تعالى – بها.

٣. أن لوطاً عليه السلام على الرغم من قوة إيمانه، وعلو همته، وعظيم غيرته، تمنى أن تكون له قوة باطشة، تردع قومه عن منكرهم، وتردهم عن باطلهم، وأنه لا بأس على المسلم أن يستعين بغيره لنصرة الحق الذي يدعو إليه، ولخذلان الباطل الذي ينهى عنه.

٦ الدرس السادس

موسى عليه السلام

في هذا الدرس

- مولد موسى عليه السلام ونشأته.
- خروج موسى عليه السلام من مصر.
- رسالة موسى عليه السلام.
- خروج بني إسرائيل وعبورهم إلى سيناء.

موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل ، وهو كليم الله لأن الله كلمه مباشرة واصطفاه برسالته وبكلامه فأنزل عليه التوراة وأرسل معه أخاه هارون عليه السلام معيناً ونصيراً.

عاش موسى عليه السلام في مصر حيث كان يقيم قومه بنو إسرائيل وقد كثر نسلهم وتضاعف عددهم فرأى ملوك مصر من الفراعنة أن يبادروهم بالقتل والتعذيب قبل استفحال قوتهم ، فكانوا يسخّرون الكبار منهم في الأعمال الشاقة ويقتلون مواليدهم من الأطفال الذكور ويُبقون على حياة الإناث لاسترقاقهنّ. ثم تبيّن لأهل مصر أن المصلحة تقتضي عدم إفنائهم جميعاً بهذه الصورة، إذ لابد من استبقاء قسم منهم للقيام بأعمال الخدمة، فقرر فرعون أن يقتل الأطفال الذكور من بني إسرائيل عاماً ويتركهم في العام الذي يليه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

. القصص : ٤ ..

■ مولد موسى عليه السلام ونشأته :

ولد موسى عليه السلام في سنة القتل بينما ولد أخوه هارون عليه السلام في سنة النجاة فتركوه في أحضان أبويه ، أما موسى فقد خشيت أمه أن يعلم أحدٌ بولادته ، فربط الله تعالى على قلبها وألهمها أن تضعه في صندوق من الخشب ثم تلقي به في مياه نهر النيل، وحين فرغت من ذلك أرسلت أخته لاقتفاء أثره ، فشاهدت من التقطه من النهر ودخل به إلى قصر فرعون ، وما إن رأته امرأة فرعون حتى قذف الله في قلبها محبته والشفقة عليه ، فرغبت إلى زوجها ألا يقتله عسى أن يكون لهما ولداً نافعاً، ولم تكن ذات أولاد. وافق فرعون على طلب زوجته فبدأت تبحث عمن يرضعه لها، فجيء بالمرضعات فعافهنّ جميعاً، ثم تقدمت أخت موسى وعرضت عليها أن تأتي بامرأة مرضعة فقبلت منها فجاءتها بأمه ليتحقق وعد الله لها ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ . لقد صنعه الله على عينه وتولى رعايته فشبّ قوياً صحيح الجسم.

فكر

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

سورة القصص : ٧ ـ

في الآية ذكر الله لأم موسى: أمرين اثنين، ونهيين، ووعدين اذكرها.

الأمرين:

١. أن ترضعه مطمئنة.

٢. إذا خشيت أن يُعرف أمره فتضعه في صندوق وتلقه في النيل.

النهيين:

١. ألا تخاف من فرعون وقومه أن يقتلوه.

٢. ألا تحزن على فراقه.

الوعدين:

١. إنا رادُّو ولدكِ إليكِ.

٢. سوف نبعثه رسولا.

■ خروج موسى عليه السلام من مصر :

بينما كان موسى عليه السلام يتجول ذات يوم في المدينة ؛ إذا برجل من قومه بني إسرائيل يستغيثه ويطلب نصرته في مشاجرة له مع رجل آخر من أهل مصر ، فنصره موسى وضرب خصمهما بجمع كفه فمات الرجل من قوة الضربة. وفي صباح اليوم التالي دخل موسى عليه السلام المدينة ليقف على أصداء خبر حادثة الأمس ، لكنه فوجئ بنفس الرجل من بني إسرائيل يستغيثه مرة ثانية وهو يتشاجر مع مصري آخر. غضب موسى عليه السلام من كثرة مشاجرات الرجل مع الناس فأقبل نحوهما مغضباً ، وحين رآه الرجل من بني إسرائيل مقبلاً بهذه الحال أشفق على نفسه أن يبطش به موسى، فكشف سر الأمس المخبوء أمام الناس ، فقال : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ القصص : ١٩ . .

انتشر الخبر بين المصريين فأخذوا يتدبرون أمر الفتك بموسى ، وسمع بتدبيرهم أحد أصدقائه المخلصين فانطلق إليه مسرعاً وأنهى إليه خبر القوم وحثه على مغادرة البلاد.

لم يتردد موسى عليه السلام في قبول النصيحة ، فخرج مرتحلاً إلى أرض مدين ووصلها بعد أن أجهده العطش ، ثم توجه نحو مورد ماء فوجد الناس مزدحمين عليه واسترعى انتباهه رؤية فتاتين وقفتا غير بعيد من الماء تهشان على غنمهما ، فاقترب منهما وقد شعر بحاجتهما إليه ، فسأل عن شأنهما فأجابتا أنهما لا تستطيعان مزاحمة الرجال والاختلاط بهم ، ولا يوجد عندهما في البيت من يستطيع ذلك سوى أبيهما وهو رجلٌ مسنٌ لا يقدر على هذا العمل الشاق، ولذا فهما لا تسقيان حتى ينفض الناس من حول البئر.

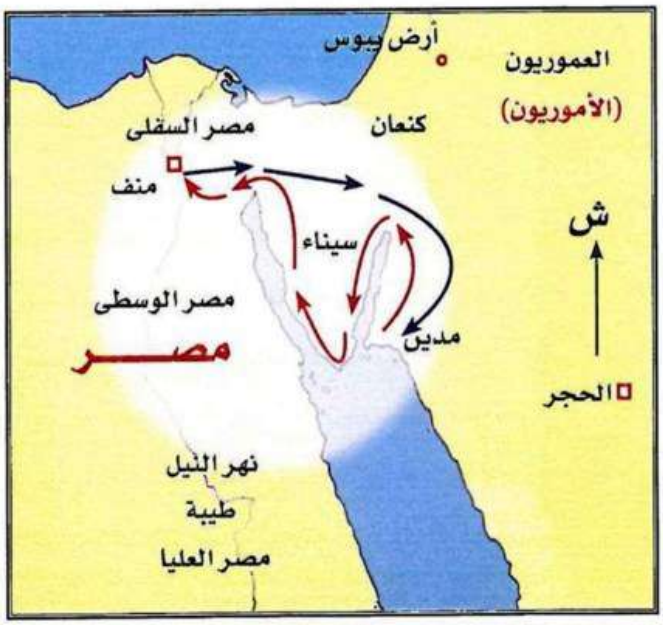

شكل (٤) مسير موسى عليه السلام من مصر إلى مدين ورجوعه

سمع موسى عليه السلام كلامهما وتولى بنفسه أمر السقاية لهما ، فتقدم إلى مورد الماء وخاض مع الناس وقد آتاه الله قوة في الجسم فلم يمنعه أحد ، فسقى للفتاتين ثم عاد إلى الظل ليستريح من عناء التعب ، وبينما هو كذلك إذ جاءته إحداهما تمشي على استحياء فأبلغته دعوة أبيها له ليكافئه على حسن صنيعه.

لبى موسى عليه السلام الدعوة والتقى بأبيها وكان رجلاً صالحاً اطمأن إليه موسى وأخبره بما وقع له في مصر، ومن جانبه فقد رغب الشيخ في مصاهرة موسى فعرض عليه أن يزوّجه إحدى ابنتيه مقابل أن يعمل أجيراً عنده لمدة ثمانية أعوام يمكن زيادتها إلى عشرة أعوام إن رغب موسى في ذلك ، فتم الزواج وعند انقضاء المدة المتفق عليها بين الرجلين ارتحل موسى عليه السلام بأهله عائداً إلى مصر.

■ رسالة موسى عليه السلام :

سار موسى عليه السلام في طريق عودته إلى مصر حتى وصل صحراء سيناء، فلما تغشاه الليل أخطأ طريقه فرأى ناراً على مقربة من جبل الطور فأبقى أهله في مكانهم ومشى نحوها مؤملاً أن يقتبس منها جذوة يستضيئون بها ويصطلون ، وحين دنا من موضع النار غمرته السكينة والخشوع ، لقد سمع نداء الحق جل جلاله : ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه: ١٢ .. لقد اصطفاه الله لتبليغ رسالة التوحيد ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ طه: ١٤، ثم أجرى له معجزتين لتصديق رسالته وكلتاهما في يديه، ففي يمينه عصاه يلقيها في الأرض فتصير حية تتلوى، و يضم يده إلى جيبه ثم يخرجها بيضاء متلألئة من غير مرض.

طلب موسى من ربه أنه يشد أزره بأخيه هارون؛ لفصاحة لسانه فأجابه ربه إلى ذلك. بذل موسى وهارون عليهما السلام جهدهما في تحذير فرعون وملأه سوء العاقبة ، وكما هو متوقع فقد طلب فرعون من موسى دليلاً على صدق رسالته ، وحينئذ جاء دور المعجزة فألقى موسى عليه السلام عصاه فإذا هي حيةٌ تسعى ، ثم أدخل يده في جيبه وأخرجها فإذا هي بيضاء ناصعة. ورغم هاتين المعجزتين المبهرتين ؛ فقد ظن فرعون أن الطريق لا يزال متسعاً أمامه للمجادلة

والممـاراة ، فبـادر إلى تكذيب ما رأته عيناه ونسب هذا الصنيع إلى أعمـال السحر ووصف موسى بالساحر العليم ، ثم اتفـق مـع كبار رجال مملكته على جمع السحرة من مختلف أنحاء مصر ليكشفوا أمام الناس سحر موسى وزيف عمله!. وجـرى الاتفـاق على تحديـد يوم معلوم لهـذه المواجهة وهو يوم الزينـة [1] ، فاجتمع الناس حتى مـلأوا المكان، ووعد فرعون السحرة بمكافأة مجزية إن هم نجحوا في مهمتهم.

طلب موسى عليه السلام من السحرة أن يبدأوا أولاً بإلقاء ما في أيديهم من عصي وحبال ، فلما ألقوها توهم الناس أن المـكان مملـوء بالحيات والثعابيـن ، فأوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام أن يلقي عصاه فألقاها فإذا هي حيةٌ تبتلع ما جاءوا به من الإفك والدجل. ولما كان السحرة يعلمون جيداً أسرار صنعتهم فقد أدركوا أن صنيع موسى ما هو بكيـد ساحـر ، فاستيقظت أنفسهم بآيات الله فـي تلك اللحظة الحاسمة وامتلأت قلوبهـم بالإيمان وخرّوا لله ساجدين وهـم يقولـون بصـوت مسموع : ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ . الشعراء : ٤٧ـ٤٨ .. لم يجد فرعون سبباً لتجريم السحرة سوى أنهم آمنوا قبل أن يأذن لهم في ذلك ! ، ولذا فقد توعدهم بالقتل والصلب وقطع الأيدي والأرجل لكنهـم لـم يلتفتـوا إلى وعيده وتهديده وكان جوابهم له: ﴿ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ . طه : ٧٢ . ، وقالوا له أيضاً: ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ ﴾ . الشعراء : ٥٠ . .

■ خروج بني إسرائيل وعبورهم إلى سيناء :

أمـر الله تعالـى موسـى عليه السلام أن يخرج بقومه من مصـر ليلاً حتى لا يشعر بهم فرعـون وأعوانه ، فغادروا مصر باتجـاه الشـرق، وعلم فرعون بأمرهم فجمـع جنوده واقتفى أثرهم حتى أدركهم عند ساحـل البحر، وحين صار البحر أمامهم والعدو من خلفهم دبّ الذعر في نفوسهم وأشفقوا أن يقعوا في قبضة عدوهم، لكن موسى عليه السلام طمأنهم بأن الله يحوطهـم بعنايتـه، وقد أجرى الله جل وعلا المعجـزة الثانية بعصا موسى إذ أوحى إليـه أن يضرب البحر بعصاه ففعـل وعندئـذ انفرج لهم اثنا عشر طريقاً يابساً في عرض البحـر فمشوا خلالها حتى عبروا سالمين ، وتبعهم فرعون فسلك الطريق ذاتها وحين انتصف فيها أطبق عليه الماء من كل جهة فغرقوا جميعاً.

■ موسى عليه السلام يناجي ربه عند جبل الطور :

أمر الله موسى عليه السلام أن يتوجه إلى السفح الأيمن من جبل الطور فيمكث فيه لمدة ثلاثين يوماً صائماً متعبداً لله، فامتثـل موسى لأمر ربـه واستخلف أخاه هارون على قومه وأوصاه أن يسير فيهم سيرة صلاح وإصلاح ، وبعد أن أمضى موسـى عليه السلام شهراً فـي مناجاته أمره الله أن يستكمل المدة بعشرة أيام أخرى فقضاهنّ أربعين يوماً وأنزل الله عليه أسفار التوراة فيها أحكام ومواعظ لبني إسرائيل، كلم الله تعالى موسى عليه السلام مباشرة أثناء اعتكافه في جبل الطور، وعندئـذ تطلـع موسـى عليه السلام إلى رؤية ربه جل جلاله ، فأخبره الله أنه لن يطيق رؤيتـه ، وشاء المولى سبحانه أن يبيّن ذلك لموسى بطريقة عملية ، فأمره أن ينظر إلى جبلٍ قريبٍ منه وسوف يتجلى الله سبحانه إلى ذلك الجبل فإن ثبت في

(١) يوم وفاء النيل

مكانـه وصمد فسوف يراه موسى ، وحين تجلـى الله جل شأنه للجبل جعله مفتتاً مستوياً بالأرض ، وخرّ موسى عليه السلام إلى الأرض مغشياً عليه من هول المشهد ، ثم أفاق وتاب واستغفر وأناب.

معلومات إثرائية

أصاب التحريف التوراة وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضـع عدة. قال تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ . المائدة : ١٣.

استنتج الدروس والعبر المستفـادة من قصة نبي الله موسى عليه السلام .

١. العلو في الأرض له نهاية مؤلمة.

٢. الإمامة لا تنال إلا بالصبر واليقين.

٣. حفظ الله ورعايته لأوليائه تتدخل مهما كان الأمر.

٤. الإثم على قدر المشاركة في الصد عن سبيل الله.

٧ الدرس السابع

عيسى عليه السلام

عيسى عليه السلام هو المسيح بن مريم، وهو عبد الله ورسوله وروحٌ منه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، وهو من أولي العزم من الرسل، أرسله الله إلى بني إسرائيل وأنزل عليه الإنجيل فيه هدىً ونور إلا أن يد التحريف امتدت إلى الإنجيل فأصابه ما أصاب التوراة من تغيير وتبديل.

في هذا الدرس

- معجزة مولد عيسى عليه السلام.
- ولادة عيسى عليه السلام.
- رسالة عيسى عليه السلام.
- معجزات عيسى عليه السلام.

■ معجزة مولد عيسى عليه السلام :

أشار الله تعالى في كتابه العزيز إلى مولد مريم بنت عمران. والدة عيسى عليهما السلام. وإلى شيء من نشأتها الأولى، فحين حملت بها أمها نذرت هذا الجنين في أحشائها لله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. آل عمران: ٣٥.، فقد كانت ترجو أن تُرزق بولدٍ صالحٍ يدعو إلى الله ويكون وقفاً على خدمة بيوت العبادة، وعندما ولدتها وتبين لها أنها أنثى، أسمتها (مريم) وتضرعت إلى الله أن يحفظها وذريتها من كيد الشيطان ووساوسه: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. آل عمران: ٣٦..

نشأت مريم عليها السلام في بيت صلاح وتقى وأخذت نفسها بالعبادة وتعلم دين الله حتى ضربها الله سبحانه مثلاً للمحصنات المؤمنات القانتات، وتولى رعايتها زكريا عليه السلام. وهو نبيٌّ ومن الصالحين وكان شقيقاً لوالدتها.، وقد لاحظ زكريا شيئاً غريباً في محراب مريم؛ كان يجد عندها فاكهة الشتاء في أيام الصيف، وفاكهة الصيف في أيام الشتاء، فسألها متعجباً: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾، وأجابته بوضوح: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. آل عمران: ٣٧.، وكأنما أراد الله تعالى أن يهيئ مريم لتلقي المعجزة الكبرى وهي ميلاد عيسى، فإذا كانت تؤمن بأن الله يرزقها الفاكهة في غير موسمها؛ فإنها ستؤمن بأن الله سيرزقها ولداً دون أن يمسّها رجل، وقد بشرتها الملائكة بهذه المعجزة:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ . آل عمران: ٤٥ - ٤٧.

■ ولادة عيسى عليه السلام :

اتخذت مريم عليها السلام لنفسها مكاناً منفرداً في الجانب الشرقي من المعبد واعتزلت الناس، وبينما هي كذلك أرسل الله إليها الروح الأمين (جبريل عليه السلام) في صورة رجل، فلما رأته أوجست منه شراً لكنه طمأنها

معلومات إثرائية

شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون طريقة الخلق أوالتكاثر في جميع الكائنات الحية من ذكر وأنثى، لكنه استثنى من ذلك حالات ثلاث؛ الأولى أنه خلق بشراً دون ذكر وأنثى وهو آدم عليه السلام حيث بدأ به الخلق وأنشأه من العدم. والثانية أنه خلق بشراً من ذكر فقط وهي حواء خلقها الله من بعض أجزاء آدم. والثالثة أنه خلق بشراً من أنثى فقط وهو عيسى بن مريم عليه السلام، وفي ذلك دليلٌ على تمام إعجاز الخلق.

فعيسى عليه السلام لم ينحدر من أصلاب الرجال كغيره من الناس، وإنما كان مثله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.

بأنـه ليس بشـراً وإنما هو ملـكٌ أرسله الله إليهـا ليهب لها ولـداً صالحاً. فنفـخ فيهـا جبريل فحملت منذ تلـك اللحظة وحين اقتـرب موعد ولادتها استتـرت خلف جذع نخلة وهـي حزينة مكروبة مما تتوقعـه من الاتهامات التي سيرميهـا الناس بها ، واجتمع إلى حزنها وكربتها ألم المخاض الذي بدأت تشعر به فتمنّت يومئذ لو أنها ماتت قبل هذا أو لم تُخلق، لكن عناية الله أدركتها إذ سمعت صوت جبريل عليه السلام يناديها ويطمئنها ويربط على قلبها.

تعلم ذاتي

افتح المصحف على

سورة مريم

واقرأ الآيات من ٢٢ - ٢٦.

وضعـت مريم عليها السـلام مولودها وعادت إلـى قومها وهي تحمله بين ذراعيها ، فكان أمراً مفاجئاً لهم أن يرونها كذلك وهم يعرفونها جيداً بالصلاح والتقى ، فكيف يكون لها ولدٌ وهي لم تتزوج قط ؟ ، قال تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ . مريم : ٢٧ . ٢٨ . . تمسكت مريم بوصية جبريـل عليه السلام لهـا فلم تكلم أحداً منهم ، واكتفت بالإشارة لهم أن يكلموا وليدها ، فازدادت حيرتهم واشتد غضبهم : ﴿ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ . مريم : ٢٩ . ، وهنا حدثت المعجزة الثانية إذ أنطق الله الوليد في مهده ليشهد ببراءة أمه وطهارتها : ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ . مريم : ٣٠ . ٣٢ . .

■ رسالة عيسى عليه السلام :

عندمـا بلـغ عيسى عليه السلام الثلاثين من عمره تلقى من ربه الوحي ، وعلمه التـوراة والإنجيل وبعثه الله تعالى رسولاً إلـى بنـي إسرائيل بعد أن ازدادوا في غيهم وضلالهم ، فشرع يبشر الناس برسالته ويدعوهم إلى الإيمان بالله وحده ، ويبيّـن لهم أن رسالته متممةٌ لمـا كان قبله وهي رسالة موسى عليه السلام ومبشرةٌ بما سيكون بعده وهي رسالة محمد ﷺ ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ الصف: ٦ . .

لم يؤمن بعيسى عليه السلام إلا قليلون من بني إسرائيل ، وأما الأكثرية فقد ناوءوه وكذبـوه ، فاتخـذ عيسى عليه السلام من المؤمنين به أنصـاراً وهم (الحواريون): ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ۖ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران : ٥٢ . .

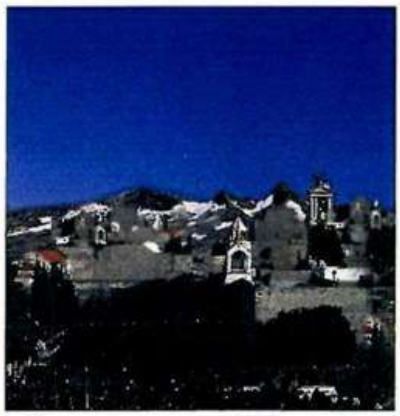

شكل (٥) مدينة بيت لحم التي ولد فيها المسيح عليه السلام

ورغم أن جوهر رسالة عيسى عليه السلام هو توحيد الله سبحانه وإخلاص العبـادة له وحده ؛ إلا أن بعض أتباعه قد غالـوا فيه، فذهبوا إلى القول بأنه ابـن الله، تعالـى الله عما يقولون علواً كبيراً ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ مريم:٨٨ . ٩٢

معلومات إثرائية

نبّه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه العزيز إلى بشرية المسيح، فلا يذكر اسمه إلا مقروناً بكلمة (ابن مريم) ليؤكد على أنه ابناً لمريم لا ابناً لله سبحانه. كما يشير القرآن الكريم إلى أن عيسى عليه السلام بشرٌ ممن خلق الله يأكل الطعام ويخضع لما يخضعون له البشر في قوانين الحياة، دون أن يقدح ذلك في منزلته كنبي مرسل. قال تعالى:

﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

المائدة : ٧٥.

■ معجزات عيسى عليه السلام :

أيّد الله تعالى عيسى عليه السلام بعدد من المعجزات الباهرة الدالة على صدق رسالته، ويتمحور معظمها حول حقيقة الروح والتأكيد على وجودها، إذ كان الناس في ذلك الزمان يُنكرون الروح، فأجرى الله سبحانه على يد عيسى عددًا من المعجزات:

(١) إحياء الموتى بإذن الله.

(٢) كان يصنع أشكالاً طينية ثم ينفخ فيها فتدب إليها الروح وتكون طيرًا بإذن الله تعالى.

(٣) كان يمسح بيده على الأكمه فيرتد بصيرًا.

(٤) كان يمسح على الأبرص فيُشفى من عاهته بإذن الله تعالى.

(٥) كان ينبئ الناس بما يأكلون ويدّخرون في بيوتهم.

لم تكن معجزات عيسى عليه السلام لإقناع الكافرين فحسب؛ بل كان المؤمنون به من الحواريين يطالبونه ببعض المعجزات لتطمئن قلوبهم، فقد سألوه يوماً أن يدعو ربه لينزل عليهم مائدة من السماء: ورغم هذه المعجزات الدامغة للحجج والقاطعة للشك والارتياب؛ فإن اليهود كانوا يتربصون بعيسى عليه السلام ويكيدون له، فقاموا بتحريض الرومان عليه وأوهموهم أن دعوة عيسى تهدد بزوال ملكهم، فدبروا أمر مقتله وأرسلوا جنودهم في البحث عنه، وقد دلّهم على مكانه رجلٌ منافق من أصحابه، لكن الله جل وعلا ألقى على هذا الرجل شبه عيسى فقبض عليه الجنود والرومان اعتقاداً منهم بأنه هو عيسى فقتلوه ثم صلبوه، وأما عيسى عليه السلام فقد أنجاه الله من كيدهم، فعيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب، وإنما رفعه الله تعالى إليه ولسوف ينزل إلى الأرض كإحدى علامات الساعة ويحكم بشريعة الإسلام، فقد قال رسول الله عليه السلام: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**» رواه البخاري ومسلم[1].

استنتج الدروس والعبر المستفادة من قصة نبي الله عيسى عليه السلام.

١. خلق الله تعالى عيسى عليه السلام من تراب مثل سائر البشر.

٢. عيسى عليه السلام هو عبد الله ورسوله.

٣. جميع الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم منسوخة وأصابها التحريف والتبديل.

(١) البخاري ج٢/ ص٧٧٤، ومسلم ج١/ص ١٢٥